بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ

الصادقين

الإسلام
محتاج الى جميع أبنائه

الجمعة ٧ ربيع الثاني ١٤٤٦ هـ / ١١ تشرين الاول ٢٠٢٤ م العدد ٢٥٠

نشرة تصدر عن المكتب الاعلامي متخصصة بنقل أحاديث وخطابات وفتاوي وأخبار سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾ الفوز والفلاح في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الشهيد السيد حسن نصر الله فخرٌ وعزةٌ ومدرسة

لو لا أن الله تعالى قهر عبادهُ بالموت والفناء ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾ وأنه تعالى وعدَ بأن يَتخذَ من عبادهِ شهداءَ، لكان المرحوم الشهيد السيد حسن نصر الله، أكبر من أن ينالهُ الموت فإن الموت يهابُ أمثالهُ لشجاعتهِ وثباتهِ وقوة قلبهِ وصبرهِ ورباطة جأشهِ وطمأنينته وحكمتهِ وإخلاصهِ في طاعة ربه تبارك وتعالى، فنال أمنيتهُ ومضى شهيداً مع جمع من إخوانه البرَرة.

لقد رحل إلى الرفيق الأعلى بعد أن أسّس مدرسةً للقادةِ الناجحين المخلصين لأمتهم، وترك وراءهُ سجلاً حافلاً بالانتصارات، ليس على أرضِ لبنان الحبيبة فقط بل في سوريا والعراق وفلسطين، حيث لم يتردد في الوقوف مع أهلهِ وإخوانهِ لدحر الإرهاب وصدّ موجتهِ العاتية.

لقد كان (تغمدهُ الله تعالى برحمته ورضوانه) من القادة الأفذاذ الذين يندرُ أن يجود الزمان بأمثالهم، وكان مصدر عزةٍ وافتخارٍ للإسلام والمسلمين، ومثالاً يُقنع العالم بالإسلام الذي يُنجب أمثاله، وليس كالحضارة المادية التي تخلقُ مجرمين وأبطالاً وهميين، وكان وجودهُ المبارك يبعثُ رسالة الطمأنينة إلى الأحرار والمستضعفين والمحرومين مُزينة بابتسامةٍ مشرقةٍ حنونة.

فلا يُلام محبّوه وعارفو خصالهِ الجميلة على حزنهم الشديد ولوعتهم لفراقهِ، ولا سلوى لهم إلا أنه مضى شهيداً على طريق أجدادهِ الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين)، وأنه أصبح رمزاً ملهماً لكل الأحرار الذين يرفضون الذُل والخنوع والاستسلام والعبودية لغير الله تبارك وتعالى.

وأكادُ أجزم أن أعداءهُ قبل أحبائهِ معجبون به ويفتخرون بأنّهم يواجهون مثلهُ، فهم حزينون لقتلهم إياهُ وإن أظهروا الفرح والشماتة، لأنهم خسِروا عدواً شريفاً حكيماً ملتزماً بالمبادئ الإنسانية التي افتقدها العالم الذي يصف نفسهُ بالمتحضّر، لا يغدر ولا يخون ولا يفجر ولا يكذب مهما ضَغَطت عليه قسوةُ الأحداث واشتدّت الحاجة إلى الأساليب الملتوية لتحقيق المصالح.

إن السيد الشهيد نصر الله لا يليق به الرثاء والنواح، وإنما يليق بهِ حُسن الثّناء وتعداد المفاخر والزهو بالانجازات وتدوين السيرة، لتكون منهجاً يُتّبع في السعي الحثيث، لإقامة العدالة الاجتماعية التي ينعم بها الناسُ جميعاً.

خُذْ في ثنائهم الجميلَ مُقرِّضاً
فالقوم قد جَلّوا عن التأبين

ولنا في مصيبتنا برسول الله (ﷺ) وأهل بيتهِ الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) وما أعدّ للشهداء من المقام الكريم، سلوى وعزاء، فإن الأمة تحتاج بين وقتٍ وآخر إلى دماءٍ زكيّة طاهرةٍ تراق، لتستيقظ وتنهض وتتحرر، وليشهد الأفذاذ بدمائهم، أن الإيمان بالله تعالى حقّ، ويستحق التضحية بالغالي والنفيس، وليوفوا بعهدهم مع الله تعالى ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ (الأحزاب: ٢٣).

محمد اليعقوبي - النجف الأشرف
٢٤/ ربيع الأول / ١٤٤٦

﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً﴾ [النبأ: ٤٠]
الناس تتمنى يوم القيامة أن لو كانوا من شيعة علي (عليه السلام)(١)

قال الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً﴾ [النبأ: ٤٠].

صورة لأحد مشاهد يوم القيامة يظهر فيها الكافر وكل ظالم لنفسه بالمعاصي والذنوب الذي أضاع آخرته لدنيا هزيلة تافهة ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُوْلَـئِكَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٣]، وهو في أقصى حالات الشعور بالندامة والأسف وهول الموقف ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللهِ﴾ [الزمر: ٥٦] حينما تعرض عليه أعماله فينظر فيها بصورتها الظاهرية ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً﴾ [آل عمران: ٣٠] ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً﴾ [الكهف: ٤٩] ويعيش حقائقها الواقعية التي هي جزاءاتها ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٠].

وتجسّمُ الأعمال يكون أبلغ في الحجة وأوقع في الجزاء للعاصين كما للمطيعين، حيث تظهر على حقيقتها بلا تزويق أو رياء أو نفاق أو خداع، فيتألم بها غاية الألم ويعضّ على أصابعه حسرة على ما فرّط في أمر آخرته حيث لا ينفعه ندم ﴿وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص: ٣] فإن هذا المصير البائس صنعه بنفسه لنفسه بما كسب من أعمال سيئة ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ: ٤٠] وإنما ذُكرت اليد لأن غالب الأعمال تنجز بها، أو لأن في اليد تعبيراً عن القدرة التي ينجز بها سائر الأعمال، وإلا فإنه مسؤول عن أعمال كل جوارحه كاللسان والعين والرجل والأذن وغيرها.

وقد دعاه الله تعالى إلى أن ينظر لنفسه فأنهما واحد في مقاييس الآخرة، ويحسن اختيار مصيره والمستقبل الذي يصنعه فإن عاقبته منوطة باختياره وأن يقدّم ما يستطيع من دنياه لآخرته فإن الدنيا مزرعة الآخرة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨] ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ﴾ [المزمل: ٢٠].

ولعل (ينظر) هنا بمعنى ينتظر فإنهما واحد في مقاييس الآخرة، فالكافر والظالم ينتظر برعب وقلق نشر صحيفة أعماله التي سوّدها بالمعاصي، كالطالب الفاشل الذي يتمنى أن يدفن رأسه في التراب يوم توزيع نتائج الامتحانات ويتمنى أن لا تنشر ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي

التتمة في الصفحة الرابعة

---

(١) من درس التفسير الأسبوعي الذي يلقيه المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في مكتبه في النجف الأشرف يوم الأربعاء ٢١/ربيع الأول/١٤٤٦ الموافق ٢٥/ ٩/ ٢٠٢٤.

﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾ [الأعراف: ١٦٥]
الفوز والفلاح في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(٢٣)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤-١٦٥].

روى علي بن إبراهيم في تفسيره بسند صحيح في سبب نزول الآيات عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (وجدنا في كتاب علي عليه السلام أن قوماً من أهل إيلة(٢٤) وهي قرية لبني إسرائيل وأن الحيتان كانت سبقت إليهم يوم السبت ليختبر الله طاعتهم في ذلك - وقد نهوا عن الصيد يوم السبت لأنه يوم تفرغ للعبادة وعيد أسبوعي كالجمعة عند المسلمين - فشرعت إليهم يوم سبتهم - أي تظهر واضحة على سطح الماء وسهلة التناول يوم السبت دون بقية الأيام لأنهم كانوا يمتنعون عن الصيد يوم السبت في بداية الأمر فكانت الحيتان تأتي آمنة يوم السبت فسبحان الله الذي علّمها يوم السبت من بين الأيام - في ناديهم وقدام أبوابهم في أنهارهم وسواقيهم فبادروا إليها فاخذوا يصطادونها فلبثوا في ذلك ما شاء الله لا ينهاهم عنها الأحبار ولا يمنعهم العلماء من صيدها، ثم إن الشيطان أوحى إلى طائفة منهم: إنما نهيتم عن أكلها يوم السبت فلم تنهوا عن صيدها، فاصطادوا يوم السبت وكلوها فيما سوى ذلك من الأيام، فقالت طائفة منهم الآن نصطادها، فعتت، وانحازت طائفة أخرى منهم ذات اليمين فقالوا ننهاكم عن عقوبة الله أن تتعرضوا لخلاف أمره واعتزلت طائفة منهم ذات اليسار فسكتت فلم تعظهم، فقالت للطائفة التي وعظتهم: ﴿لِمَ تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذّبهم عذاباً شديداً﴾، فقالت الطائفة التي وعظتهم: ﴿معذرة إلى ربكم لعلهم يتقون﴾ قال: فقال الله عز وجل: ﴿فلما نسوا ما ذُكّروا به﴾ يعني لما تركوا ما وُعظوا به مضوا على الخطيئة، فقالت الطائفة التي وعظتهم لا والله لا نجامعكم ولا نبايتكم الليلة في مدينتكم هذه التي عصيتم الله فيها مخافة أن ينزل بكم البلاء فيعمّنا معكم، قال فخرجوا عنهم من المدينة مخافة أن يصيبهم البلاء فنزلوا قريباً من المدينة فباتوا تحت السماء فلما أصبح أولياء الله المطيعون لأمر الله غدوا لينظروا ما حال أهل المعصية، فأتوا باب المدينة فإذا هو مصمت، فدقّوه فلم يجابوا ولم يسمعوا منها خبر (حسّ) واحد فوضعوا سلّماً على سور المدينة ثم أصعدوا رجلاً منهم فأشرف على المدينة فنظر فإذا هو بالقوم قردة(٢٥) يتعاوون، فقال الرجل لأصحابه يا قوم أرى والله عجباً، قالوا وما ترى؟ قال: أرى القوم قد صاروا قردة يتعاوون ولها أذناب، فكسروا الباب، قال: فعرفت القردة أنسابها من الإنس ولم تعرف الإنس أنسابها من القردة، فقال القوم للقردة: ألم ننهكم؟ فقال علي (عليه السلام): والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إني لأعرف أنسابها من هذه الأمة لا ينكرون ولا يغيرون بل تركوا ما أمروا به فتفرقوا وقد قال الله عز وجل: ﴿فبُعداً للقوم الظالمين﴾، فقال الله: ﴿وأنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس -أي شديد- بما كانوا يفسقون﴾)(٢٦).

تصنّف الآيات الكريمة مواقف الناس من النهي عن المنكر إلى ثلاثة ذكرها الشيخ الصدوق فيما رواه بسنده عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (كانوا ثلاثة أصناف: صنف ائتمروا وأمروا فنجوا، وصنف ائتمروا ولم يأمروا فمُسخوا ذرّاً(٢٧)، وصنف لم يأتمروا ولم يأمروا فهلكوا)(٢٨)، ومسخوا قردة وخنازير (في الآية ٦٠ من سورة المائدة) لأنهم لا يستحقون صفة الإنسانية، وروى مثلها في روضة الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام).

أقول: وأضاف الطبرسي في مجمع البيان ((إنه هلكت الفرقتان، ونجت الفرقة الناهية، روي ذلك عن أبي عبد الله (عليه السلام)))، فالذين لم يفعلوا المنكر لكنهم سكتوا ولم ينهوا عنه كانوا من الظالمين أيضاً وعُوقبوا لأنهم بدلاً من أن يتوجّهوا بالأنكار إلى العاصين، توجهوا باللوم والتقريع إلى الواعظين.

وفي الآية دلالة واضحة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن الآية صرّحت بنجاة الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر فقط ووصفت الصنفين الآخرين بالظالمين واستحقاقهم العقاب، ولو لم تكن هذه الوظيفة واجبة لما استحق الصنف الثاني القاعد عن أداء الفريضة الذين ائتمروا ولم يأمروا العذاب.

لذا كان ابن عباس يبكي لثقل هذه المسؤولية، روى في الدر المنثور بسنده عن عكرمة قال: (جئت ابن عباس يوماً وهو يبكي، وإذا المصحف في حجره، فقلتُ: ما يبكيك يا ابن عباس؟ قال: هؤلاء الورقات، وإذا في سورة الأعراف) ثم ذكر هذه الأيات وفسّرها إلى أن قال: (فأرى الذين نهوا قد نجوا ولا أرى الآخرين ذكروا، ونحن نرى أشياء ننكرها ولا نقول فيها)(٢٩).

ويظهر من الآية أن هذا الصنف التارك لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هم الذين قالوا: لِمَ تَعِظُونَ قوماً لأنهم بحسب الظاهر غير الواعظ وغير المنهي فيتعين بهم.

ويظهر منها أيضاً أنهم محسوبون على المؤمنين الملتزمين بالشريعة ظاهراً، وربما يظهر من لحن كلامهم أنهم كارهون لفعل المنكر، مبررين سكوتهم بأنه لم يكن عن معصية لوجوب هذه الفريضة وإنما ليأسهم من صلاح العصاة، لكن عذرهم هذا لم يكن مقبولاً لأنّ سكوتهم عن ردع المعتدين لا ينمّ عن وجود غضب لله تبارك وتعالى، وإنما كان لإسكات ضميرهم إذ الواجب عليهم أن يؤدّوا وظيفتهم أما النتائج فهي بيد الله تبارك وتعالى.

وفي تفسير الإمام العسكري (عليه السلام) عن الإمام السجاد (عليه السلام) من حديث (وذلك أن طائفة منهم وعظوهم وزجروهم، ومن الله خوفوهم، ومن انتقامه وشديد بأسه حذّروهم، فأجابوهم عن وعظهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ بذنوبهم هلاك الاصطلام ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾ فأجابوا القائلين لهم هذا: ﴿مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾ إذ كلّفنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فنحن ننهى عن المنكر ليعلم ربُّنا مخالفتنا لهم وكراهتنا لفعلهم، قالوا: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ونعظهم أيضاً لعلهم تنجع فيهم المواعظ، فيتقوا هذه الموبقة، ويحذروا عقوبتها)(٣٠).

قال السيد الطباطبائي (قدس سره): ((وفي الآية دلالة على أن الناجين كانوا هم الناهين عن السوء فقط، وقد أخذ الله الباقين، وهم الذين يعدون في السبت والذين قالوا: ﴿لم تعظون﴾ إلخ وفيه دلالة على أن اللائمين كانوا مشاركين للعادين في ظلمهم وفسقهم حيث تركوا عظتهم ولم يهجروهم.

وفي الآية دلالة على سنة إلهية عامة،

التتمة في الصفحة الثالثة

---

(٢٣) قبس قرآني من درس التفسير الأسبوعي الذي يلقيه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في مكتبه في النجف الأشرف يوم الأربعاء ٥/ربيع الثاني/١٤٤٦ الموافق ٩/ ١٠/ ٢٠٢٤.

(٢٤) وهي ايلات اليوم مدينة تقع على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام كما في معجم البلدان ومراصد الاطلاع وهو خليج العقبة.

(٢٥) قال تعالى في الآية التالية: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦]. (٢٦) البرهان: ٤ /١٢٧ ح٢ عن تفسير القمي:١ /٢٤٤، وح٨ عن تفسير العياشي: ٢ /٣٣ ح٩٣.

(٢٧) الذر: النمل الصغار أو الصغير التي لا تكاد ترى وكذا ذرات التراب وأمثالها، وفي نور الثقلين: ٢ /٩٠ عن تفسير العياشي بسنده عن جعفر بن محمد عن أبيه (عليهما السلام)
وفيه (قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام)): ما صنع بالذين أقاموا ولم يقارفوا الذنوب؟ قال: بلغني أنهم صاروا ذرّاً). (٢٨) الخصال: ١٠٠، ح٥٤. (٢٩) الدر المنثور:٣ /٥٨٩.

(٣٠) تفسير البرهان للسيد هاشم البحراني:٤ /١٢٩، عن تفسير العسكري: ٢٦٩.

وهي أن عدم ردع الظالمين عن ظلمهم بمنع، وعظة إن لم يمكن المنع، أو هجره إن لم تمكن العظة أو بطل تأثيرها، مشاركة معهم في ظلمهم، وأن الأخذ الإلهي الشديد كما يرصد الظالمين كذلك يرصد مشاركيهم في ظلمهم))(٣١).

أقول: ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى في سورة العصر: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ فلا يكفي لخروج الإنسان من حالة الخسر أن يكون صالحاً في نفسه بالإيمان والعمل الصالح، بل لا بد أن يكون إنساناً مصلحاً للمجتمع وفاعلاً في عملية التغيير بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر(٣٢).

وقال: (رضوان الله تعالى عليه): ((وفي قولهم ﴿إلى ربكم﴾ حيث أضافوا الرب إلى اللائمين ولم يقولوا إلى ربّنا إشارة إلى أن التكليف بالعظة ليس مختصاً بنا بل أنتم أيضاً مثلنا يجب عليكم أن تعظوهم لأن ربكم لمكان ربوبيته يجب أن يُعتذر إليه، ويبذل الجهد في فراغ الذمة من تكاليفه والوظائف التي أحالها إلى عباده، وأنتم مربوبون له كما نحن مربوبون فعليكم من التكاليف ما هو علينا))(٣٣).

أقول: هذه التفاتة لطيفة وهي تدل على أن الفئة الناجية شملت بوعظها أولئك الساكتين حين ذكروهم بوظيفتهم أمام ربهم، ومنه يُعلم النظر في وصفه (رضوان الله تعالى عليه) للأمة اللائمة بأنهم ((كانوا أهل تقوى يجتنبون مخالفة الأمر إلا أنهم تركوا نهيهم عن المنكر فخالطوهم وعاشروهم ولو كان هؤلاء اللائمون من المتعدين الفاسقين لوعظهم أولئك الملومون، ولم يجتنبوهم بمثل قولهم ﴿معذرة﴾)).

أقول: يكفي قولهم: ﴿ربكم﴾ لوعظ هؤلاء اللائمين وتذكيرهم بحقوق الربوبية عليهم.

{فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ} أي صمّوا آذانهم عن سماع الموعظة ولم يعد لها أي تأثير فيهم حيث ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ﴾.

وهنا يثار إشكال على استعمال لفظ: ﴿نَسُوا﴾ له تقريبان: -

١- إن هؤلاء لم يكونوا ناسين بل كانوا ذاكرين وملتفتين إلى مغبة العمل.

٢- إذا كانوا ناسين فإن الناسي معذور ويقبح عقابه، فلماذا أخذوا بعذاب بئيس.

ونكتفي في الجواب بما قاله السيد الطباطبائي (قدس سره): ((وقوله تعالى: {فلما نسوا ما ذكّروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء} المراد بنسيانهم ما ذكّروا: انقطاع تأثير الذكر في نفوسهم وإن كانوا ذاكرين لنفس التذكر حقيقة فإنما الأخذ الإلهي مسبب عن الاستهانة بأمره والإعراض عن ذكره، بل حقيقة النسيان بحسب الطبع مانع عن فعلية التكليف وحلول العقوبة)).

أقول: أي أنَّ النسيان هنا بمعنى زوال أثر التذكير على النفس فكأنه منسي حيث ساوى وجوده عدمه فلحق بالنسيان في عدم التأثير، وإنما يحصل هذا بالتدريج كما في رواية مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (قال النبي صلى الله عليه وآله: كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟ فقيل له: ويكون هذا يا رسول الله؟ فقال: نعم، وشرٌّ من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ فقيل له: يا رسول الله، ويكون ذلك؟ قال: نعم، وشرٌّ من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً)(٣٤).

وهذه المراحل من الانحطاط كما ينتكس إليها المجتمع كذلك يرتكس فيها الفرد، فإنه في بداية الأمر له فطرة وضمير يعرف به الحق والباطل والحسن والقبيح فيرتاح إذا فعل الأول ويؤنّبه ضميره إذا فعل الثاني. لكنه بتزيين من الشيطان وضغطٍ من النفس الأمارة بالسوء وعوامل أخرى يخالف هذا الضمير الداخلي من دون أن يصلح ما صدر منه ويعود إلى رشده، بل يتساهل فيه، وحينئذٍ ينتقل إلى المرحلة الثانية عندما تأخذه العزة بالإثم ويكابر ويغالط فيحاول إقناع نفسه بما فعل أو تبريره أو الهروب منه بارتكاب مزيد من الخطأ ومقارفة الخطيئة كمن يهرب من جريمته بشرب المسكر أو بجريمة أخرى ليتناسى جريمته الأولى. ثم تأتي المرحلة الثالثة عندما يسودّ قلبه ويموت ضميره ويُطبع على قلبه ويتحول إلى شيطان فيرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً.

وفي الآية الكريمة دلالات تنفع في الأبحاث الفقهية والأصولية، منها:

١- رد ما قاله الفقهاء من اشتراط احتمال التأثير في المأمور لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الآمر، حيث لم تجعل الآية الكريمة اليأس عن التأثير عذراً فعوقب التاركون لها، فعلى المؤمنين الرساليين الغيورين على الدين والمجتمع أن لا يدخلهم اليأس والإحباط، وأن يستمروا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن لم يجدوا استجابة لفائدتين ذكرتهما الآية:

أولهما: ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾ فهو على الأقل يكون معذّراً لهم أمام الله تعالى، وفيه إتمام للحجة على الأخر، وفيه راحة للضمير وشعور بالإنسانية وأنه كائن حي متفاعل مع الأحداث ولا وجود لليأس في حياتهم لأن رسالتهم محاربة هذه الظواهر السلبية.

ثانيهما: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ إذ أنَّ تكرار الموعظة ربما يؤثر ولو بعد حين على العاصي، لأن التكرار يفسد عليه لذّته بفعل المنكر ويدفعه نحو التراجع والمراجعة، أو يخلق أجواءً اجتماعية ضاغطة على المنكر، ومحفّزة على المعروف، وإنَّ الأمل بالله تعالى موجود على أي حال وهو مدبّر الأمور، ولا شك أن الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر محسن سواءً أثّر أو لم يؤثر.

٢- عدم تمامية تعريفهم للواجب الكفائي - ومن مصاديقه هذه الفريضة - بأنه إذا قام به بعض سقط الوجوب عن الآخرين، فهنا قام الناجون بالواجب ووعظوا العاصين إلا أنه لم يسقط عن التاركين، فلا بد من إعادة النظر في بيان حقيقة الوجوب الكفائي وقد بحثناه مفصّلاً في القسم الأول من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقلنا هناك إن سقوط الوجوب يتحقق بزوال موضوعه، وما دام موضوعه قائماً فالوجوب مستمر والجميع معاقبون على تركه، فلا بد من حمل كفاية قيام البعض على هذا المعنى.

٣- إعادة النظر في ما يسمّى بالحيل الشرعية واستغلالها للالتفاف على الحكم الشرعي كما في الحادثة التي تعرضت لها الآية الكريمة فإن اليهود مُنِعوا من صيد السمك يوم السبت لأنهم أرادوا تعيين يوم في الأسبوع يتفرغون فيه للعبادة ويتوقفون فيه عن أعمالهم - والسبت يعني الانقطاع - عيداً لهم إلا أنهم احتالوا على الحكم بصنع أخاديد وحظائر من القصب على البحر يدخل إليها الماء ويحتجزون فيها السمك يوم السبت ثم يصطادونه يوم الأحد والمفروض أنه شكل من أشكال الصيد ويشمله حكم الحرمة، فلا بد من التفريق بين مثل هذه الحيل وبين الرُخَص التي شرّعها الله تعالى لعباده رحمة وتيسيراً.

وقد حذّر رسول الله (ﷺ) من إيجاد المبررات والمسوّغات لعدم التناهي عن المنكر فضلاً عن التحايل على فعله فقال (ﷺ) فيما روي عنه: (لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل)(٣٥). وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة والأهواء الساهية فيستحلّون الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع)(٣٦).

فالشريعة وكذلك القوانين التي تنظم حياة المجتمع لا يحميها ولا يضمن تطبيقها كثرة الحراس والمراقبين والشرطة، وإنما التقوى والوازع الداخلي والالتزام الأخلاقي المعبّر عنه بالضمير، وهذا من الفروق المهمة بين المجتمع القائم على أساس الإسلام وغيره من الأمم المادية.

ولنعرّج على كربلاء بما روي عن الإمام السجاد (عليه السلام) قال: (إن الله تعالى مسخ هؤلاء لاصطياد السمك، فكيف ترى عند الله عز وجل يكون حال من قتل أولاد رسول الله (ﷺ) وهتك حريمه، إن الله تعالى وإن لم يمسخهم في الدنيا فإن المعدّ لهم من عذاب الآخرة أضعاف أضعاف هذا المسخ)(٣٧).

---

(٣١) الميزان في تفسير القرآن: ٨ /٣٠١. (٣٢) راجع القبس المتعلق بسورة العصر في تفسير (من نور القرآن): ج٥/ ص٣٤٨، قبس ١٨٤.

(٣٣) النص وما بعده في الميزان في تفسير القرآن: ٨/ ٣٠٠ - ٣٠١. (٣٤) وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما، باب ١، ح١٢.

(٣٥) الدر المنثور: ٣ /٥٩٢. (٣٦) نهج البلاغة، الخطبة (١٥٦). (٣٧) البرهان: ٤ /١٢٩ ح٣ عن تفسير العسكري: ٢٦٨، ١٣٦ و١٣٧.

تتمة: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً﴾ الناس تتمنى يوم القيامة أن لو كانوا من شيعة علي (عليه السلام)

عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩]. ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً﴾ [النبأ: ٤٠] فليس له أي عذر أو مسوّغ، لأن النُذُر والمواعظ تواترت من الله تبارك وتعالى على لسان الأنبياء والرسل وأوصيائهم (صلوات الله عليهم أجمعين)، وقد مهدّت الآية السابقة بالتذكير بأن يوم القيامة والحساب حق لا ريب فيه فليبادروا وليستثمروا الفرصة ما داموا موجودين في الدنيا قبل فواتها ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآباً﴾ [النبأ: ٣٩].

والتخويف والإنذار أبلغ في هداية الناس وإصلاحهم من الترغيب، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (المؤمن بين مخافتين: ذنبٍ قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه، وعمرٍ قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك، فلا يصبح إلا خائفاً، ولا يصلحه إلا الخوف)(٢).

وهذا اليوم قريب لأنه آتٍ بلا شك وكل آتٍ قريب، ولأن الإنسان مهما عمّر في الدنيا فإن وجوده فيها لا يتجاوز لحظة في عمر الزمن، ويكون لا شيء إذا قيس إلى الخلود في الآخرة، وفي الحديث الشريف (الدنيا ساعة فاجعلها طاعة)(٣)، وإنه بموته يدخل عالم الآخرة وتنقطع فرصة عمله قال النبي (ﷺ): (إذا ماتَ أحَدُكُم فقد قامَت قيامَتُهُ، يَرى ما لَهُ مِن خَيرٍ وشَرٍّ)(٤)، بل القرب متحقق الآن لأنَّ الأعمال التي سيجزى بها الإنسان معه وملازمة له فهي شديدة القرب واللصوق ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩] لكنهم غافلون عن هذا القرب، فالذي أغراهم بالمعاصي وعدم التمسك بالدين ظنهم بأن يوم القيامة بعيد وقد لا يأتي ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣] ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣].

﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً﴾ [النبأ: ٤٠] وحينئذ يتمنى الكافر والظالم لو كان تراباً لا قيمة له تطأه الأقدام بنعالها ولا يقع في هذا الموقف المهول القاسي، وفي بعض التفاسير(٥) أن القائل إبليس إذ يتمنى أن يكون أصله من تراب كآدم (عليه السلام) وليس من نار مما أوجب استكباره وعصيانه، وهو معنى لا بأس به إلا أنه لا داعي لحصر اللفظ العام للآية بهذا المصداق فقط.

وإنها لنتيجة مؤسفة أن يتمنى الإنسان الذي كرّمه الله تعالى وجعله خليفته في الأرض وأهّله ليكون أفضل من الملائكة، أن يكون تراباً لأنه يرى أنه أحقر من التراب، ويرى أن التراب أفضل منه، فقد كان مصدر غذائه وكان مباركاً تضع فيه البذرة فيعطي أنواع الثمار الطيبة، والكافر لا خير فيه بل كان جالباً للشر والنكد له ولغيره، فالتراب أفضل من الكافر.

ولتراب الأرض قيمة معنوية في حياة الإنسان لانتمائه إليه وتعلقه به وحنينه إليه، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (من كرم المرء بكاؤه على ما مضى من زمانه، وحنينه إلى أوطانه، وحفظه قديم إخوانه)(٦)، لذا كان للتراب رمزية كبرى في حياة الإنسان والمجتمعات تصل إلى حد التضحية بالنفس من أجل حفظه وسلامته ويعدّونه من المقدّسات، لذلك تفاءل المسلمون خيراً لما حمّلهم كسرى وقراً من تراب ونثره على الرسول إهانة لهم وجواباً على دعوتهم إياه للإسلام أو يدفع الجزية أو القتال، فعادوا إلى القائد العام سعد بن أبي وقاص مستبشرين بالظفر وفتح بلاد فارس وتملّك أرضه(٧).

وعلى أي حال فإن تمنّي الكافر أن يكون تراباً يمكن أن يكون له عدة معانٍ:

١- إنه تراب الذي هو أصل الإنسان قبل أن يخرج إلى الدنيا أي يتمنى أنه لم يخلق أصلاً.

٢- أنه تراب حينما كان رميماً في القبر حيث يعود إلى أصله فيتخلص من النشر والحشر.

٣- أو أنه جماد ولو في أتفه صورة كالتراب الذي تطأه الأقدام والأحذية ولا يحمل الأمانة ولا يكون مكلفاً بشيء يحاسب عليه.

٤- ((وقيل إنه يتمنى حينئذٍ أن يكون تراب سجدة المؤمن تنطفئ به عنه النار، وتراب قدمه عند قيامه في الصلاة، فيتمنى الكافر أن يكون تراب قدمه))(٨).

٥- أو أنه كان طيّباً متواضعاً طيّعاً لله تبارك وتعالى كالتراب الذي شرّفه الله تعالى بأن كان أصل الإنسان ومبدأ خلقه وإليه معاده ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥]، وهو محل سجوده وبه طهوره قال النبي (ﷺ): (أعطيت خمساً لم يعطها أحد قبلي: جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)(٩) حتى وصف الإنسان الصلب في إيمانه لمتمسك بالمبادئ والزهد عن الدنيا بأنه ترابي.

وأكمل مصاديق هذا المعنى أن يكون مسلماً موالياً لأهل البيت (عليهم السلام) متمسكاً بنهجهم القويم، وهذا المعنى مروي عن أهل البيت (عليهم السلام) كقول الإمام الصادق (عليه السلام): (تراباً يعني علوياً يوالي أبا تراب)(١٠).

ويشهد له أن النبي (ﷺ) قال لعلي (عليه السلام): (يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة)(١١) وقد كنّى (ﷺ) علياً (عليه السلام) بأبي تراب، فشيعة علي شُبّهوا بالتراب لأنهم أهل السجود والطهور وأهل التواضع، وهم مباركون معطاؤون بحسب ما قدّمنا من أوصاف التراب وأمير المؤمنين (عليه السلام) أبو الترابيين المبدأيين المباركين الراسخين في الإيمان والمعرفة لذلك كانت هذه الكنية أحبّ أسمائه إليه.

روى الشيخ الصدوق بسنده عن عباية بن ربعي قال: (قلت لعبد الله بن عباس، لم كنى رسول الله (ﷺ) علياً (عليه السلام) أبا تراب؟ قال لأنه صاحب الأرض، وحجة الله على أهلها بعده، وبه بقاؤها وإليه سكونها، ولقد سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: إنه إذا كان يوم القيامة ورأى الكافر ما أعد الله تبارك وتعالى لشيعة علي من الثواب والزلفى والكرامة قال يا ليتني كنت تراباً - يعني من شيعة علي - وذلك قول الله عز وجل: ﴿ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً﴾)(١٢).

قال العلامة المجلسي (قدس سره) تعليقاً على الرواية: ((يمكن أن يكون ذكر الآية لبيان وجه آخر لتسميته (عليه السلام) بأبي تراب، لأن شيعته لكثرة تذللهم له وانقيادهم لأوامره سُمّوا تراباً كما في الآية الكريمة، ولكونه (عليه السلام) صاحبهم وقائدهم ومالك أمورهم سمي أبا تراب، ويحتمل أن يكون استشهاداً لتسميته (عليه السلام) بأبي تراب، أو لأنه وصف به على جهة المدح لا على ما يزعمه النواصب لعنهم الله حيث كانوا يصفونه (عليه السلام) به استخفافاً، فالمراد في الآية: يا ليتني كنت أبا ترابياً، والأب يسقط في النسبة مطرداً، وقد يحذف الياء أيضاً))(١٣) كما يقال قرشي لمن انتسب لقريش.

والمعروف في مصادر الفريقين أن النبي (ﷺ) كنّى أمير المؤمنين (عليه السلام) بأبي تراب في غزوة العشيرة قبل معركة بدر بأربعة أشهر، روى عمار بن ياسر قال: (كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة، فقال لي علي: هل لك يا أبا اليقظان في هذا النفر من بني مدلج يعملون في عين لهم ننظر كيف يعملون: فأتيناهم فنظرنا إليهم ساعة، ثم غشينا النوم، فعمدنا إلى صور من النخل في دقعاء من الأرض فنمنا فيه، فوالله ما هبنا إلا رسول الله فجلسنا وقد تتربنا من تلك الدقعاء، فيومئذٍ قال رسول الله (ﷺ) لعلي (عليه السلام): يا أبا تراب، لما عليه من التراب، فقال: ألا أخبركم بأشقى الناس؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: أحمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه - ووضع رسول الله (ﷺ) يده على رأسه - حتى يبل منها هذه - ووضع يده على لحيته)(١٤).

وقد نظم الشاعر المجيد عبد الباقي العمري الأفندي بهذه المنقبة لعلي (عليه السلام) بأبيات قال فيها:

يا أبا الأوصياء أنت لطه
إن لله في معانيك سراً
أنت ثاني الآباء في منتهى الدو
خلق الله آدماً من تراب
صهره وابن عمه وأخوهْ
أكثر العالمين ما علموهْ
ر وآباؤه تعدّ بنوهْ
فهو ابن له وأنت أبوهْ(١٥)

التتمة في الصفحة السادسة

---

(٢) الكافي: ٢ /٧١ ح١٢. (٣) بحار الأنوار: ٦٧/ ٦٨ مرسلاً في عرض كلامه عن رسول الله (ﷺ) وكرره في ٧٤/ ١٦٤. (٤) ميزان الحكمة: ٨ /٢٠٧.

(٥) كتفسير الفخر الرازي والقرطبي والألوسي. (٦) بحار الأنوار: ٧٤/ ٢٦٤، ح ٣. (٧) تاريخ الطبري: ٣/ ١٩.

(٨) روح البيان: ١٠/ ٢٩٢ إسماعيل البروسوي (ت ١١٢٧)، طبعة دار إحياء التراث العربي. (٩) وسائل الشيعة: ج ٢/ص٩٧٠. (١٠) البرهان في تفسير القرآن: ١٠ /٩٧.

(١١) بحار الأنوار: ج ٣٦/ص١١، مفردات الراغب مادة (أبي). (١٢) علل الشرائع: ج ١/ ص١٥٦ ح٢. (١٣) بحار الأنوار: ج٣٥/ ص٥١.

(١٤) بحار الأنوار: ج١٩/ ص١٨٨، سيرة ابن هشام: ٢/ ١٧٧ دار الجيل، تاريخ الطبري: ٢/ ٢٦٢ حوادث السنة الثانية، البداية والنهاية: ٣/ ٢٤٧، مسند أحمد: ٤/ ٢٦٣، مستدرك الحاكم: ٣/ ١٤٠، أنساب الأشراف: ٢/ ٩٠ وغيرها من مصادر العامة. (١٥) الباقيات الصالحات: ديوان الشاعر عبد الباقي العمري الموصلي: ص ٤٦، ط. دار الشريف الرضي.

هذي العمامةُ خيمةُ الشعراءِ

هذي العمامةُ خيمةُ الشعراءِ
بيضاءُ فوقَ السحنةِ البيضاءِ(٣٨)

ما أطيبَ الكلماتِ يعقوبيّةً
تجري لوجهِ محمدِ الوضّاءِ

المرجعُ إنسانٌ، لكنْ كلّما
حدّقتُ فيهِ رأيتُ وجهَ سماءِ

رجلٌ تتبادلهُ الحياةُ حِوارَها
فترى لديهِ طلاقةَ العلماءِ

وترى الثقافةَ غرفةً في رأسِهِ
مسكونةً بمآثرِ الآباءِ

أو ليسَ موسى كانَ أوّلَ خطوةٍ
تُنجيهِ من دوامةِ الأخطاءِ

ومحمدٌ من قبلُ أدّبَ روحَهُ
بشهي ما يُروى عن الادباءِ

يعقوبُ والدُ جدّهِ ديوانُهُ
بيتٌ يشادُ بجنةٍ خضراءِ

من فرطِ ما شبكت به الأنهار
حَطّت فيهِ آمنةً طيورُ الماءِ

يا شيخُ تأذنُ لي أقولُ فإنّني
لم أبصرنّكَ من زمانٍ ناءِ

ودعتنيَ السنواتُ أن آتيَ إليكَ
ملفّعاً بقصيدتي العصماءِ

لستُ الفرزدقَ كي أقولَ بحضرةِ
السجادِ ثُمّ أعودَ للخلفاءِ

آتي إليكَ وفيَّ جرحٌ نازفٌ
هوَ فيكَ ينزفُ دونَ أيّ مِراءِ

هوَ جرحُ نصرِ اللهِ، جرحُ الأمةِ
الكبرى، وجرحُ قوافلِ الشهداءِ

حسنُ الذي حَسُنَ الجهادُ بصوتِهِ
المنسابِ مثلَ الضوءِ في الأرجاءِ

حسنُ الذي لبنانُ لم يعثرْ على
شبهٍ لهُ بسلالةِ الأبناءِ

حَسَنُ الذي عن غزّةٍ لم يتّخذْ
سدّاً، وظلّ شعارَ كُلّ فدائي

حسنُ الجنوبيُّ العراقيُّ الفلسطينيُّ
نجلُ الطينةِ السمراءِ

حسنُ المعمّمُ بالجلالةِ والمقدمُ
بالبسالةِ والبصيرُ الرائي

حسنُ الذي لليومِ لم يرَ حُلمَهُ
متحققاً إلا على الأشلاءِ

حسنُ الذي في القدسِ شدَّ مصيرَهُ
ليصيرَ من أبوابِهِ الحمراءِ

حسنُ الذي انهدمتْ عليهِ بيوتُنا
حزناً، وقد صارتْ بيوتَ عزاءِ

حسن الذي.. يا شيخُ هل أصفُ
البطولةَ في رحابِك يا ابنَ كلّ مَضاءِ

أرثيهِ أم في المدحِ أغسلُ غضبتي
هذا الكمالُ يجلّ دونَ رثاءِ

السيدُ العلويُّ ساعةَ أنْ يموتَ
يصيرُ سقفَ حقيقةٍ علياءِ

والثائرُ النبويُّ لو مرّت بِهِ
الدنيا، تمرُّ بثورةٍ شمّاءِ

والحوزويُّ إلى المَقاتلِ لو مشى
معهُ ستمشي أمةُ الفقراءِ

والزاهدُ المأهولُ بالتقوى إذا
كتبَ الحروبَ بأحرفٍ ودماءِ

فالبندقيةُ في يديهِ قصيدةٌ
صوفيةٌ تُلقى لدى الزهراءِ

والموتُ لا يعنيهِ، أصحابُ الحسينِ
توسّلوا بالسيفِ والرمضاءِ

أن يُرفعوا فوقَ الرماحِ لكي يعودوا
مُحدِقينَ بموكبِ الحوراءِ

ها أنتَ يا حسنُ اقترحتَ الطفَّ
في لبنانَ تحميها من الأعداءِ

تحمي الطفولاتِ البريئةَ، حينَ
إسرائيلُ ألغتْها من الأسماءِ

يا سيدي.. أنبيكَ عن شيعيّةِ
الصاروخِ، أم يغنيكَ عن أنبائي

أنتَ أدّخرتَ الغاضبينَ وأنتَ جيّشْتَ
الجيوشَ بليلةٍ شنعاءِ

وضحكتَ يومَ رأيتَ تلّ أبيبَ انقلبتْ
بما أرسلتَ تلّ هُراءِ

يا سيدي.. لبنانُ تبكي غيرَ أنَّ
جنودَكَ الباقينَ في الهيجاءِ

سيجّددونَ العهدَ حتى تبدو
الأيامُ ضاحكةً لكلّ بكاءِ..

---

(٣٨) قصيدة ألقاها الأديب النجفي جناب الدكتور مهدي النهيري معزياً باستشهاد القائد السيد حسن نصر الله ومستذكراً أعلام أسرة آل اليعقوبي يوم الخميس ٢٩/ربيع الأول/١٤٤٦ الموافق ٣/ ١٠/ ٢٠٢٤.

معهد القضاء الشرعي

أعلن في الحوزة العلمية في النجف الأشرف عن تأسيس (معهد القضاء الشرعي) لإعداد قضاة يحكمون على طبق الشريعة في قضايا الأحوال الشخصية كالمواريث والطلاق والنكاح والوصية والوقف والقيمومة والحضانة وأمثالها وفضّ الخصومات بين المتنازعين.

ويقبل المعهد طلبة العلوم الدينية الذي اجتازوا مرحلة المقدمات والسطوح الابتدائية في الفقه والأصول، حيث يدرّس المعهد المراحل اللاحقة من دروس الفقه والأصول مع التخصص في ما تتطلّبه وظيفة القضاء بين الناس وإقامة ورش من قبل قضاة متمرسين للتعريف بكيفيه ممارسة الوظيفة والنظر في القضايا شكلاً ومضموناً.

ويتلقى المعهد دعماً مادياً ومعنوياً من المرجعية الرشيدة، وقد بدأ بتلقّي طلبات القبول والنظر في أهلية الراغبين، والله ولي التوفيق.

المرجع الديني
الشيخ محمد اليعقوبي
يعطي الإذن بصرف الحقوق الشرعية لسد الاحتياجات الضرورية للشعب اللبناني الشقيق وتقديم المعونات .. مواساة ونصرة لهم

بسمه تعالى

نظراً للظرف الحرج الذي يمر به الشعب اللبناني الشقيق والذي تتعرض مدنه الى عدوان صهيوني همجي أدى الى استشهاد وجرح المئات من المؤمنين، ونزوح وتهجير الآلاف من المدنيين العُزل، فقد أعطى سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) الأذن لمن يريد صرف الحقوق الشرعية، لشراء الاحتياجات الضرورية لإخواننا في لبنان الشقيق، أو تقديم المعونات العينية، مواساةً ونصرةً لهم، ويكون إصالها عبر مكتب سماحته في لبنان بإذن الله تعالى.

نسأل الله تعالى أن يُعزّ جنده ويربط على قلوبهم وينصرهم في كل ساحات المواجهة، وأن يردّ كيد الأعداء الى نحورهم، كما نسأله جل وعلا الرحمة والرضوان للشهداء السعداء، والشفاء التام للجرحى والمصابين، إنه سميع الدعاء.

١٩ /ربيع الاول/١٤٤٦
الموافق ٢٠٢٤/٩/٢٣

صدر حديثا كتاب
(أم المؤمنين أم سلمة قدوة الفضائل والولاء)
لسماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

إن من يطلّع على السيرة العطرة للسيدة أم سلمة (رضي الله عنها) ينبهر بها، ويجد فيها الأسوة الحسنة للرجال والنساء معاً، ويعيش معها المراحل المتنوعة التي مرّت بها الدعوة الإسلامية المباركة منذ التباشير الأولى لارتفاع صوت التوحيد من المسجد الحرام حينما صدع به النبي الأكرم (ﷺ)، حيث كانت أم سلمة (رضي الله عنها) من اللبنات الأولى في بناء الإسلام العظيم مع زوجها أبي سلمة، فلذكرهما خصوصية في قلوب المؤمنين الرساليين الذين يتذوقون عصر نزول القرآن والنقلة العظيمة التي أحدثها النبي (ﷺ) في حياة البشرية، ثم عاشت مرحلة المعاناة والاضطهاد والتعذيب من طواغيت قريش مما ألجأتهم إلى الهجرة عن مكة إلى الحبشة أولاً، ثم إلى المدينة المنورة حيث عاشت مع النبي (ﷺ) انتصارات الإسلام واتساع رقعته.

إلى أن حصلت الرزية بوفاة النبي (ﷺ) وانقلاب الأمة على الأعقاب وإزالة الحق عن مستقره، وما تلاه من فتن واضطراب واقتتال واقصاء لولاة الأمر الشرعيين وانتهت بمقتل الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه الكرام، وهنا توقف القلب الكبير للسيدة ولم تستطع الحياة بعده فانتقلت إلى جوار ربها الكريم، وهي في جميع تلك المراحل كانت بمستوى المسؤولية والثبات في الموضع الذي يريده الله تعالى ورسوله (ﷺ).

والكتاب في ثلاثة فصول:
الأول: فضائلها وحسن شمائلها...
الثاني: تمسكها بولاية أهل البيت (عليهم السلام) وثباتها على الحق...
الثالث: تحقيقات تاريخية...

والكتاب من إصدارات دار الصادقين ويحتوي على ١٣٠ صفحة.

تتمة: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً﴾ الناس تتمنى يوم القيامة أن لو كانوا من شيعة علي (عليه السلام)

أقول: نقلها ابن أبي الحديد في شرح النهج وقال: ((فكانت هذه الكنية أحب كناه إليه لكون النبي (ﷺ) كناه بها وكان أعداؤه من بني أمية وأتباعهم لا يطلقون عليه غيرها كأنهم يعيّرونه بها مع أنها موضع الفخر ودعوا خطباءهم أن يسبوه بها على المنابر وجعلوها نقيصة له فكأنما كسوه بها الحلي والحلل كما قال الحسن البصري))(١٦).

أقول: لقد سنّ عثمان لهم هذا الطعن في علي (عليه السلام) فقد ورد في قضية الصحابي الجليل أبي ذر (رضوان الله تعالى عليه) أنه (جاء علي (عليه السلام) فقال له عثمان: ألا تغني عنا سفيهك هذا. قال: أي سفيه؟ قال: أبو ذر. قال علي (عليه السلام): ليس بسفيه، سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء، أصدق لهجة من أبي ذر، أنزله بمنزلة مؤمن آل فرعون، إن يك كاذباً فعليه كذبه، وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم. قال عثمان: التراب في فيك. قال علي (عليه السلام): بل التراب في فيك، أنشد بالله من سمع رسول الله (ﷺ) يقول ذلك لأبي ذر، فقام أبو هريرة وعشرة فشهدوا بذلك، فولى علي (عليه السلام)))(١٧).

وقد حرف حسّاد أمير المؤمنين (عليه السلام) وأعداؤه مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام)، تارةً بنسبتها إلى غيره كولادته في جوف الكعبة، وتارةً بتحريفها لتكون مثلبة كافترائهم إغضابه للزهراء (عليها السلام) بخطبة بنت أبي جهل، وهذا ما حصل في هذه القضية، قال ابن هشام في سيرته بعد أن ذكر رواية عمار بن ياسر المتقدمة وهي الصحيحة التي رواها الفريقان ((وقد حدثني بعض أهل العلم: أن رسول الله (ﷺ) إنما سمّى علياً أبا تراب: أنه كان إذا عتب على فاطمة (عليها السلام) في شيء لم يكلمها، ولم يقل لها شيئاً تكرهه، ألا أنه يأخذ تراباً فيضعه على رأسه، قال: فكان رسول الله (ﷺ) إذا رأى عليه التراب عرف أنه عاتب على فاطمة، فيقول (ﷺ): ما لك يا أبا تراب؟ فالله أعلم أي ذلك كان))(١٨).

أقول: وزاد البخاري بأن علياً (عليه السلام) ((كان قد خرج إلى المسجد مغاضباً لفاطمة فوجده رسول الله (ﷺ) نائماً وقد ترب جنبه، فجعل يمسح التراب عن جنبه ويقول: قم يا أبا تراب))(١٩) فكأنهم أرادوا أن يقولوا أن علياً (عليه السلام) كان أيضاً يؤذي فاطمة وليس الشيخان فقط، وأن فاطمة (عليها السلام) كانت تغضب علياً (عليه السلام) وليس فقط عائشة وحفصة تغضبان رسول الله (ﷺ).

لكن كذب هذه الأحاديث واضح فإن الحياة الزوجية بين أمير المؤمنين وفاطمة (عليهما السلام) أطهر وأسمى وأنقى من هذه التفاهات؛ لأنها مبنية على المعرفة التامة لكل منهما بمقام الآخر، وكلاهما من أهل بيت العصمة الذين طهرهم الله تعالى من كل رجس وخطأ وزلل، وقد كذّب أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه الأحاديث الموضوعة، فقد قال في حق الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام): (فوالله ما أغضبتها، ولا أكرهتها على أمر، حتى قبضها الله عز وجل، ولا أغضبتني، ولا عصت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عني الهموم والأحزان)(٢٠).

مضافاً إلى أن الطبري رواه في تاريخه خالياً من إغضاب فاطمة (عليها السلام) حيث روى أنه قيل لسهل بن سعد الساعدي أن بعض أمراء المدينة -وهو مروان بن الحكم- يريد أن يبعث إليك تسبّ علياً عند المنبر، قال: أقول ماذا؟ قال: تقول أبا تراب، قال سهل: والله ما سماه بذلك إلا رسول الله (ﷺ)، قال: قلت وكيف ذلك يا أبا العباس؟ قال: دخل عليّ على فاطمة ثم خرج من عندها فاضطجع في فيء المسجد، قال: ثم دخل رسول الله (ﷺ) على فاطمة فقال لها: أين ابن عمك؟ فقالت: هو ذلك مضطجع في المسجد، قال فجاءه رسول الله (ﷺ) فوجده قد سقط رداءه عن ظهره وخلص التراب إلى ظهره فجعل يمسح التراب عن ظهره ويقول: أجلس يا أبا تراب، فوالله ما سماه به إلا رسول الله (ﷺ) ووالله ما كان له اسم أحبُّ إليه منه(٢١).

أقول: رغم كذب روايتهم، إلا أنَّ فيها إقراراً منهم بعظمة وجلالة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) عند أمير المؤمنين (عليه السلام) بحيث لا يتفوه بكلمة عتاب إذا اختلف معها في قضية معينة.

وإذا أردنا حمل رواية سهل على معنى مقبول فإن علياً (عليه السلام) لما دخل على فاطمة (عليها السلام) ورآها قد (مجلت يداها - من الطحن بالرحى، وكسحت البيت حتى اغبرّت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها فأصابها من ذلك ضر شديد)(٢٢) فأشفق على حالها وشعر بالانكسار لأنه زوجها وكان يريد لها حياة خالية من المتاعب والمصاعب، وعبّر عن ذلك بوضع التراب على رأسه كما هو معروف في حالات الحزن لأنه لا يرضى بأذى السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وإن كانت هي راضية طاعة لله تبارك وتعالى، وفي ذلك تربية للأزواج في احترام بعضهم، وتقدير جهودهم والاعتذار عن كل تقصير.

---

(١٦) شرح نهج البلاغة: ج١/ ص١٢. (١٧) الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٧١٠. (١٨) سيرة ابن هشام: ٢ /١٧٧ ط. دار الجيل.

(١٩) هو حديث سهل بن سعد الآتي روي بعدة طرق باختلاف يسير في الألفاظ. (٢٠) مناقب الخوارزمي: ٢٥٦، كشف الغمة: ١/ ٣٦٣، بحار الأنوار: ٤٣/ ١٣٤.

(٢١) تاريخ الطبري: ٢ /٦٢ حوادث السنة الثانية. (٢٢) من لا يحضره الفقيه: ١ /٣٢١.

يمكنكم إرسال إستفتاءاتكم على عنوان مكتب المرجع الديني سماحة الشيخ محم
العراق / النجف الأشرف / نهاية شارع الرسول (ﷺ) أو على عنوان البريد الألكتروني : com
موقعنا على الأنترنت : www.yaqoobi.com

جميع الحقوق محفوظة
لموقع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي